

الأمثل في تفسير كتاب الأمانة المنزل

[263] وأساساً فإنّ مخالفة السنن والأعراف، وإقتلاع الآداب والعادات الخرافية وغير الإنسانية يقتدر عادةً بالضجيج والغوغاء والصخب، وينبغي أن لا يهتمّ الأنبياء بهذا الضجيج والصخب مطلقاً، ولذلك تعقب الجملة التالية فتقول: (سنّة الأمانة في الذين خلوا من قبل). فلست الوحيد المبتلى بهذه المشكلة، بل إنّ الأنبياء جميعاً كانوا يعانون هذه المصاعب عند مخالفتهم سنن مجتمعاتهم، وعند سعيهم لإجثاث أصول الأعراف الفاسدة منها. ولم تكن المشكلة الكبرى منحصرة في محاربة هاتين السننيتين الجاهليتين، بل إنّ هذا الزواج لمّا كان مرتبطاً بالنّبي (صلى الله عليه وآله) فإنّه يمكن أن يعطي الأعداء حربة أخرى ليعيبوا على النّبي (صلى الله عليه وآله) فعله، ويطعنوا في دينه، وسيأتي تفصيل ذلك. ويقول الأمانة سبحانه في نهاية الآية تثبيتاً لاتّباع الحزم في مثل هذه المسائل الأساسية: (وكان أمراً قادراً مقدوراً). إنّ التعبير بـ (قدراً مقدوراً) قد يكون إشارة إلى كون الأمر الإلهي حتمياً، ويمكن أن يكون دالاً على رعاية الحكمة والمصلحة فيه، إلّا أنّ الأنسب في مورد الآية أن يراد منه كلا المعنيين، أي أنّ أمراً تعالى يصدر على أساس الحساب الدقيق والمصلحة، وكذلك لا بدّ من تنفيذه بدون إستفهام أو تلكؤ. والطريف أنّنا نقرأ في التواريخ أنّ النّبي (صلى الله عليه وآله) قد أولم للناس وليمة عامّة لم يكن لها نظير فيما سبق إقترانه بزوجاته (1)، فكأنّه أراد بهذا العمل أن يبيّن للناس أنّهم غير قلق ولا خائف من السنن الخرافية التي كانت سائدة في تلك البيئة، بل إنّهم يفتخرون بتنفيذ هذا الأمر الإلهي، إضافةً إلى أنّهم كان يطمح إلى أن يصل صوت إلغاء هذه السنّة الجاهلية إلى آذان جميع من في جزيرة العرب عن هذا الطريق. * * * 1 - يروي المفسّر الكبير المرحوم الطبرسي في مجمع البيان: فتزوّجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ... وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها، ذبح شاة، وأطعم الناس الخبز واللحم حتّى امتدّ النهار. مجمع البيان، ج8، ص361.